بدرة وجسان

او بادرايا وباكسايا

Badrah et Djassân.

جاء في « معلمة الاسلام » التي ينشرها جماعة من المستشرقين بثلاث لغات متفرقة الالمانية والانكليزية والفرنسية ما هذا تعريبه بحرفه :

« بادرايا ، موضع وصقع من ديار العراق في شرق دجلة عند بدء منحدر سلسلة جبل الطاق (وهو المعروف بالافرنجية باسم زجرس Zagros) وهي تعرف اليوم باسم بدرة وواقعة فويق الدرجة ٣٣ من العرض الشمالي وتحت الدرجة ٤٦ من الطول الشرقي من غرينويش . ووصاف البلاد من كتاب العرب يضمون بادرايا الى باكسايا ويشيرون الى البندنيجين (مندلي) اشارتهم الى حاضرتهما جميعاً . واهم مايصدر منها القصب(١) (كذا) الشهير الذي يبس فيها . وقد نقل كسرى أنو شروان الى هذا القطر طائفة من سكان انطاكية بعد ان دمر هذه المدينة . وقد جاء ذكر بادرايا في كتب السريان بصورة « بيت درايا » ولا شك انه ورد ذكرها ايضاً في التلمود بصورة « بي دراي » اللهم إلّا ان تكون رواية في « بادوريا » . وقد ذكر ياقوت في معجمه ١ : ٥٥٥ بر درايا (قابل ايضاً ما في مراصد الاطلاع ١ : ١٤١) فلا جرم انها تصحيف بادرايا ومعنى درايا في بادرايا كمعنى كسايا في باكسايا اي قبيلة سكنتها في سابق العصور . قابل ايضاً ماذرايا اسم موضع فوق واسط . » اه كلام الكاتب .

حدود بدرة

يحد هذا القضاء من جهة الغرب قضاء العزيزية الواقع في ضفاف دجلة ، ومن جهة الشرق فارس والتخم هو جبل حمرين المستقل به حاكم عجمي معروف (بابن حسين قلي خان) ويحده من جهة الشمال (مندلي) البندنيجين ومن الجنوب لواء العمارة وقضاء كوت الامارة .

---

١) لا قصب Roseau في بادرايا حتى يكون فيها مشتهراً وانما الموجود فيها القسب (بالسين) وهو ضرب من التمر يعرف ببغداد باسم بدرايي عند النصارى وبدرايا عند كثيرين من المسلمين وبيدرايا عند جماعة منهم . ولا نعلم كيف ان الكاتب لم يميز بين القصب والقسب مع ان كتاب العرب عند ذكرهم هذا التمر قالوا التمر القسب .

مزارعها

فيها من الزراعين العرب نحو ثلاثة آلاف بيت يسكنون مزارع تقدر بخمسة آلاف واربعمائة دونم .

حيواناتها

في القضاء كله نحو خمسمائة من البقر ، وفيها ثلاثة وتسعون الف وثلاثة عشر من الغنم ونحو مائة وثلاثين من الجاموس وليس في قرية بدرة جاموس وفيها نحو ثمانمائة وتسعين من الجمال إلّا في قرية بدرة ، وفيها نحو الف ومائتين وخمسين حماراً ومائتين وتسعين بغلاً ، والمستعمل في حمل اثقالهم البغال في الغالب .

بقولها وحبوبها

من بقولها المشهورة : القثاء والبطيخ الاصفر والاسود و ... الدماطة و ... الباميا، والباذنجان والسلجم والشمندر والفجل والتين والرمان والليمون والبرتقال والنارنج والاترج والكمثرى والخوخ والمشمش والاجاص والعنب والزيتون والفلفل الدراز (دارا) وغير ذلك من البقول . واما حبوبها فالقمح والشعير والذرة والارز والهرطمان، ولا يزرع الماش عندهم ولا العدس، وعندهم السمسم والباقلا، والحمص والجلجل كثير عندهم ، والحبة الخضراء والجوز واللوز تجلب اليهم من بلاد فارس ، وعندهم حبوب وبقول اخر لا اذكرها .

موقعها السياسي والتجاري والطبيعي

بدرة تبعد يوماً وبعض يوم عن نفس قضاء كوت الامارة فالمسافر قبلا من الكوت يقلع صباحاً ويصل جسان عشياً ويبيت في جسان وبكرة يقلع منها الى بدرة فيصلها الضحوة الكبرى وبين (البغيلة) وبدرة يومان ونصف بسير البغال والذاهب من البغيلة الى بدرة كالذاهب من الكوت الى بدرة لان المدة متساوية اذ بين الكوت والبغيلة يوم واحد في الغالب وبين بدرة والبندنيجين يومان وهذا طريق البريد بين بدرة وبغداد ، ويقول البدريون ان بين بغداد وبدرة طريقاً قريباً جداً ومسافته يوم واحد إلّا انه غير مسلوك لعدم وجود الماء فيه وهو طريق مخوف ، وقد زعموا ان احدهم سلكه فوصل بغداد في يوم واحد . ولقد يكون هذا صحيحاً لان البغداديين يرون الجبل المقارب لبدرة (وهو جبل حمرين) كالغمام

العارض اذا صعدوا الى مكان مرتفع ولو ان الحكومة اهتمت بهذا القضاء المهم وفتحت له الطريق المذكور لعمر عمراناً باهراً وازدادت وارداته اضعاف اضعاف ما هي عليه اليوم . وبدرة ثغر مهم ، اذ انها الحد الفاصل بيننا وبين ايران ، ولما رأت الحكومة التركية اهميته حشدت اليه ثلة من العسكر ترابط فيه والعسكر لا يزال مقيماً هناك ، وهذا القضاء ترد اليه البضائع التجارية من فارس والكوت والبندنيجين ، وهي قليلة جداً ، فلهذا تراها تباع بضعفي ما تباع في بغداد ، وبينه وبين فارس مواصلة في التجارة اكثر مما بينه وبين بقية البلاد .

زراعتها

اراض واسعة ورجال قليلون ولا يزرع إلا معشار ما هناك من الاراضي والماء لا يكفي إلا ما يزرع منها ، والماء يتوجه الى حيث يشاء الزراع المستقي ، وفداديتها تزيد على..... فداناً ، ولو كان لهذه الاراضي مصلح لجنى منها الذهب والفضة ولوفر منها خزائنه بالمال لانها واسعة جداً ، ولا آسف على مثلها فاني رأيت على ضفاف دجلة اراضي واسعة جداً إلا انها خالية من الرجال والحكومة تشكو الفقر والاعدام ، وهذه بلادها مهملة عجاف تجري مياهها ضياعاً .

تقسيمات

يحتوي هذا القضاء على ثلاث قرى : بدرة ، وجسان ، وزرباطية ، وكلها يقرب بعضها من بعض ، فجسان تقرب من بدرة ، وبينهما ثلاث ساعات ، وبدرة تقرب من زرباطية وبينهما ساعة ونصف وفي بدرة محل الحكومة ومحطة الهيئة الشرعية للقضاء ، والقضاء كله ينقسم الى ست مقاطعات : الاولى مقاطعة جسان ويقال جصان بالصاد والسين كما ينطق به اهلها ، وتمسح بسبع ساعات طولا ويسقيها نهر جسان الذي يمر منحدراً من بدرة الى جسان ونهر الشعير ونهر الشاخة وغيرهما . والماء لا يروي مزارعها ، واهلها يتشاكون ويتضجرون من قلة المياه والمقاطعة تنقسم الى ثلاث ضياع : ضيعة جسان وضيعة الشاخة وضيعة نهر الشعير ، والمقاطعة الثانية ، مقاطعة بدرة وتمسح بست ساعات طولا ، وتنقسم الى ست ضياع : ضيعة (ميرزاباد) او (ميرزه اباد) وضيعة (قيرلي) وضيعة (الشيحة) بكسر اوله وضيعة (الامام الرضا) او (امام وزا) على حسب

وطانتهم ، وضيعة (ام الروف) وضيعة (نهر الشعير) . ويجري بهذه المقاطعة نهر ميرزاباد ، وقيراي ، وشيحة ، و (امام رزا) وام الروف . والمقاطعة الثالثة : زرباطية وتمسح بخمس ساعات طولا ، ويرويها نهر زرباطية ، وفيها ضيعة ورمزيار (بفتح اولها وهو الراء وكسر الميم وسكون الزاي) . والمقاطعة الرابعة هور جسان ويمسح بست ساعات طولا . والمقاطعة الخامسة (غريبة) بسكون اوله وفتح ثانيه وتمسح بعشر ساعات . والمقاطعة السادسة (ترسخ) بكسر اوله وسكون ثانيه وضم ثالثه ، كذا ينطقون به ، وفي دفاتر الحكومة (ترسساق) وبقيت اراض اخر تدعى اراضي سيد حسن واراضي (بكسايا) بفتح اوله ، وفي هذه الاراضي (جبل حمرين) الذي هو شعبة من جبال (بشت كوه) الفارسية ، واهل القضاء مقسومون الى عرب وكرد وبعض فرس والعرب هم الاغلبون فيه. ونفس قرية بدرة تنقسم الى جانبين : الجانب الشرقي وهو الذي فيه محل الحكومة وبيوت بدرة . والجانب الآخر : الجانب الغربي وليس فيه سوى حقول ومزارع وحدائق ، وفي هذه الايام اسس فيه (ثكنة) عسكرية يقيم فيها العسكر المرابط هناك .

حالتها الطبيعية

طقسها : معتدل جداً سالم من كل ضرر لو كانت القرية في درجة من النظافة . اما اهلها فيغلب على الوانهم الاصفرار كانهم مرضى مزمنون لانهم يكثرون استعمال التباك اكثاراً بالغاً ، وقوتهم الذي يقوتون به انفسهم وعيالهم وابناءهم (الشاي) فهم مثابرون على شربه ويغتنون به عن بقية المآكل بكرة وعشياً ، في الصيف والشتاء كما هي حالة الفرس اليوم ، وقلما تجدهم يأكلون التمر على كثرته وتنوعه عندهم ، والذي هو اضر من ذلك انهم يوغلون (في الحشيشة والافيون) ويكثرون الجنوح اليهما . لذلك تراهم ضعافاً هزالا على رقة هوائهم ، وهذه عادات بلغت اليهم من الاعجام .

والقرية تظل على نهر صغير يسمونه (الكلال) و(كلال) بالكاف الفارسية ويشق البلدة جدول صغير ايضاً اقل غزارة من (الكلال) فيجري من خلال اكثر البيوت وبعض البساتين . وهي على تلعة عالية قليلا عن سطح الارض وعلى

ضفة الكلال الاخرى حقول ومزارع وبساتين ونخلها اكثر من نخل الضفة الاخرى من جهة الشرق ، وقد احاطت بالقرية البساتين من جميع جهاتها ، وعلى مقربة منها (جبل حمرين) والمسافة بينه وبينها خمس ساعات للراكب ، وهذا الجبل هو التخم الفاصل من هذه القطعة بين البلاد العراقية والبلاد الفارسية ، وفيه حاكم مستقل عجمي ويكثر عنده النهب والسلب لان الاشقياء فيه كثيرون ولقد اصبح ملجأ لقاطعي الطرق من اعراب واعجام

وماء القرية ملح اجاج ثقيل جداً لانه يجري على الصخور والجلاميد ويمر على ارض مملحة فهو شديد المرارة . وفي الصيف تقل المياه فلا تكفي القريتين : بدرة وجصان ، ولا يصل الى جسان إلا الطين والكدر ، واذا نزل المطر على تلك الاودية تحول مياهها الى فساد في الرائحة واللون والطعم ، فلا تقدر ان تتجرعها ولا تكاد تسيغها (والكلال) حينئذ يفيض ويطغي حتى يكاد يكون كدجلة في عرضه إلا ان طغيانه يفتر بعد ساعات فيرجع الى القناة في الماء ويبقى متغيراً طعمه الى ايام . والسبب في فساد الماء من المطر ان ما يستمده الكلال من المهامه والفيافي من الماء هو غسالة تجرف كل ملح من سباخ الارض وكل وسخ يحيل الماء الى غير حالته الطبيعية . وفي بدرة ينبوع ماء فرات يبعد عنها ساعة ، ولولا مرورة على الملح لبقي فراتاً الى منتهى جريانه ، وبعض خواص القرية يشترونه بقيمة غبن .

وصف القرى الثلاث جملة

كل هذه القرى متشابهات بعضها لبعض ، والبيوت هناك تبنى بالطين واللبن ، وافنية دورهم يجللونها بالطين . ولا يكادون يعرفون الآجر . والطين هناك ذو صلابة وقوة تقارب صلابة الجص . وبعض البيوت يبقى الى مائتي سنة او اكثر . وجسان تنفرد عن القريتين بسعة طرقها وافنية بيوتها . اما القريتان الباقيتان فانهما متشابهتان من جميع الجهات . وبيوت بدرة ليست موافقة للصحة اصلا لانها لا منافذ للرياح فيها . فهي مظلمة بالسطوح التي تغطيها ، وسقوفهم من الجذوع وكذلك ابواب دورهم . والبيوت مختلفة المباني متصالبة السطوح والجدر . وبدرة مبنية على تل عال قليلا . وما فيها إلا طريق واحد عام

تتشعب منه بنات الطريق . وطرقها غاصة بالقمامات والكناسات . وابناء بدرة لا يعرفون الحشوش ولا البلاليع ولا الآبار . وهذه القرى تمثل الوحشية والخراب فضربوا بها الامثال . وفي بدرة نفسها خمسمائة بيت (خانة) من تلك البيوت التي اشبه بمقابر الموتى لا تعرف فيها الريح ان هبت وان سكنت كانما يوم القيظ أتاتين ، وفيها خان واحد للغرباء ، وفيها مسجدان صغيران وحمام . وفيها ادارة للبرق والبريد . ومكتب اولي . وفيها نحو ست (قهوة خانات) وفيها نحو خمس وعشرين (رحى ماء) تطحن البر والشعير والذرة ونحوها طحناً دقيقاً وربما اكتب مقالة في وصف ارحاء الماء) وانشرها في هذه المجلة . وفي بدرة ما يزيد على سبعين حانوتاً تباع فيه الاقمشة والاطعمة على اختلاف انواعها وفي جسان نحو مائتي وستين بيتاً وعشرين حانوتاً . وفيها خان وحمام ومسجدان والحمام يشترك فيه الرجال والنساء . فكل منهما له وقت معلوم كالحالة في بدرة . وجسان تحيط بها المزارع والجنان من جميع جهاتها . واما زرباطية ففيها نحو مائة وستين بيتاً وثلاثة عشر حانوتاً . وفيها خان واحد (وشايخانة) اثنان ، وتحيط بها البساتين ايضاً وكل القرى والضياع تسقى من ماء واحد ينبع من ينابيع بعضها في شغف حمرين وبقاعه . وبعضها في سفحه وحضيضه والتي تجري من سفحه اعذب . واذا اردت ان تعيش عيش الوحوش في البيد المقفرة فاركن الى مثل هذه القرى

ابناؤها

هم قوم من العرب تغلبت عليهم العجمية فانقلبوا يتكلمون بها . ويدلنا على ذلك انهم يعرفون العربية ويتكلمون بها ، وان رطانتهم مزيج من ثلاث لغات الفارسية وهي الغالبة ، وتليها في الغلبة التركية ثم العربية . وفارسيتهم فاسدة ومذهبهم المذهب الجعفري ، قيل وكانوا قبل خمسين سنة او اكثر من اهل السنة والجماعة ، إلا انهم جنحوا اخيراً الى اعتناق المذهب الجعفري لكثرة تردد المجتهدين من الجعفرية الى بلادهم . ومما يصحح هذا القول ان هناك اوقافاً جمة ترجع وارداتها الى الامام ابي حنيفة رضي الله عنه . ويدلنا على صحته ايضاً انهم قليلو النفرة عن اهل السنة ، ولا يتعصبون في مذهبهم تعصب بعض الشيعة

في بقية مواقع العراق ، لان العريق في المذهب اشد تعسفاً من الحديث به. على انا وجدنا اعراباً شيعة يهربون من السني، ويسبونه ويلعنونه، وربما يقتلونه ان تمكنوا منه ، وابناء بدرة بعيدون عن كل تعصب وتعسف ، وقد اتخذوا اكثر عادات الاعجام ، فلا يقرون الضيف، ولا يدعون دعوة . وعندهم شيء من النفاق والكذب . ولا بدع فذلك عادة في ضعفاء العراقيين خاصتهم وعامتهم. وفيهم الجبن والخوف والاحجام في الامور . وكلهم همج رعاع القى عليهم الجهل غمراته فهم في ظلمات من الجهل بعضها فوق بعض والشريف فيهم من ملك ضيعة من الارض او ضيعتين ، ولم اجد فيهم عالماً ولا متعلماً إلا ما كان من حضرة السيد محمد تقي المجتهد هناك ، فاني رأيت منه، دام ظله، عالماً كبيراً وبحراً غزيراً ، وقد حضرت مجلسه مراراً ، ودار بينه وبين اخي المفتي هناك (السيد عبدالمجيد) جدال ينم عن غزارة مادة الرجل ، وكان الجدال بينهما سجالا ، كل واحد يأخذ ويعطي.

ثم ان ابناء بدرة في غاية الكسل والخمول . وكل مهنة عندهم تعد عاراً وعيباً ، ومن كانت له خمسون نخلة منهم يتكل عليها طول عامه ، فلا يتشبث بشيء سواها (فهل موت بعد هذا الموت يا رجال الحياة) . (وهل فقر بعد هذا الفقر يا رجال الاثراء) . وعاداتهم في النكاح ان يجعلوا صداق البنت نخلا فيعطيها على حسب جمالها وشرفها (واين منها الجمال والشرف ؟) ونساؤهم لا يبارحن بيوتهن، وبعضهن يشتغلن مع ازواجهن في البساتين ان كان للزوج بستان، ولا يعلمن من الطبخ شيئاً إلا (تسخين الشاي) لانه قوت تلك القرية ، ولا يعلمن قراءة ولا كتابة ولا تدبير منزل .

النبات والشجر في بدرة

يغلب النخل على بقية الاشجار التي تنبت في تلك القرى ، وقد يبلغ النخل فيها زهاء الف الف ، وهو هناك على ما اظن احسن من النخل في بعض البلاد العراقية ، وجذوعه غليظة جداً حتى يكاد يكون الجذع كثلاثة جذوع من جذوع نخل بغداد . وللتمر عندهم انواع كثيرة ، اشهرها (الاشرسي) الذي لا مثيل له في بغداد من جهة الحلاوة والمقدار ، وهو كثير مبذول عندهم (والخستاوي) وهو نوعان : (الازرق) وهذا القسم هو المعتبر عندهم ، والعادي الذي هو انزل

من الاول . ومن التمور (الخضراوي) يشبه الخستاوي لوناً وحجماً ، و(البدراية) او (البيدرايي) كانه منسوب الى بدرة ، وهو تمر لا ارى مثله في بغداد في الحجم والطعم ، لكني اسمع بمسماه . (والمكتوم) يبيعونه بلحاً وقضيخاً و(القيتوني) ولم ار له في بغداد نظيراً . (وجمال الدين) كذلك لم اجد له نظيراً . واحسن منه (دقل قيطاز) فهو الفريد عندهم . وقيطاز اسم محلة من محلات بدرة ، اضيف اليها الدقل المذكور ، و(الزهدي) و(القسب) لا يأكلونه لانهم في غنية عنه . وانما يحملونه الى بغداد وعندهم (الاشرسي المكبوس) وغير ذلك مما يطول شرحه ويقتضي تطويلا .

وكل ما ينبت في العراق ينبت في تلك البلاد ، ولا شأن عندهم للزيتون فهو مهمل بينهم يثمر ، فلا يجنون ثمره ولا يعنون به . ويكثر عندهم (النرجس) الزهر المشهور الذي تلاعبت في وصفه اقلام الشعراء لطيب رائحته ودقة عرفه المنشور و(الفرصاد) و(التوت) لا يكادان يذكران عندهم . وكذلك (الكمأة) فانهم يحرمونها ويكثر عندهم (الرمان) و(التين) و(الاعناب) قليلة عندهم . والبطيخ (الاحمر) و(الاصفر) لا يكادان يذكران عندهم . والخوخ والاجاص عندهم احسن من خوخ بغداد واجاصها والباذنجان والشلجم والشمندور من جملة ما يزرعونه . وبالجملة فكل ما ينبت في العراق ينبت في بدرة الا قليلا . ولو لا خراب تلك القرى وتأخرها ، لاصبحت تلك البيوت قصورا تحف بها المروج والحدائق فتكون جنات كجنات عدن .

اخلاقهم وعاداتهم

هم قليلو التمسك بالدين ، واغلب خواصهم يؤدون ما عليهم من الفروض الاسلامية ومساجدهم لا تكاد ترى فيها احداً الا قليلا . والكسل ضارب فيهم اطنابه ، واذا تخاصم اثنان منهم في أمر يتقاضيان عند القاضي الرسمي او عند بعض الاشراف . والمنكر يحلف بامام مدفون هناك يسمى (علي البشربي) كما رأيته مكتوباً على قبره . ويبعد عن نفس القرية نحو ساعة ونصف ، وينطقون باسمه (علي اثره) وهم لا يحلفون به كذبا ابداً فان المنكر عنده ما انكره اقر . وهكذا يفعلون بمن ظنوا به انه سارق ، فانه يقر ويرجع ما سرقه الى المسروق منه .

وهم يتزاورون فيما بينهم في مجالسهم ، وقلما يزورون من ليس من ابناء قريتهم.

وعاداتهم عادات الشيعة في بغداد يقرأون التعزية ويضربون صدورهم ووجوههم في العشر الاولى من المحرم ، ويعظمون السيد تعظيماً فائقاً ، ويقتلون الزاني والزانية كما هي عادات بعض اعراب العراق . وهم يحقرون اليهودي والنصراني ، وليس في بدرة إلّا بيتان من اليهود ، وغناؤهم على حسب وطانتهم الاعجمية . وليس عندهم إلّا الطبل والمزمار والدفوف الصغار .

بعض الآثار في بدرة

على مقربة من بدرة آثار عافية يسمونها (العقر) وهي كتلاع ممتدة . ويقول ابناء بدرة ان هذه الآثار هي بدرة القديمة ، اصابها مطر غزير فتهدمت بيوتها ، ودثرت رسومها ، وبدرة الحالية هي غير بدرة القديمة التي نراها اليوم آثاراً هامدة . وهذه الآثار تبعد عن نفس القرية نصف ساعة ، ويقيم فيها بعض الاعراب . واذا امطرت يبدو منها قطع من الخزف والزجاج القديم وبعض (الخرز) والفخار ، وقد وجد فيها بعض قطع من الذهب . والاعراب يعتنون بما يجدونه من آثارها اعتناءاً بالغاً ، وكلما يقع في ايديهم تعلقه نساؤهم في رؤوسهن بعد ثقبه وتحسينه بالحك . ويسمون ذلك المعلق (اللولاح) او (اللولح) او (الدلاعة) وتجد في (اللولح) الانواع المختلفة من الصخر والزجاج والعظام وغيرها .

وبقايا الآثار المبنية تعلو الى نحو خمسة عشر متراً . وقد زارها بعض المستشرقين في السنين الاخيرة .

هذا اهم ما يذكر عن هذه الآثار ، وهو الذي تواتر عن البدريين تواتراً صحيحاً . والله اعلم .

م . د

(لغة العرب) كتبت هذه المقالة في سنة ١٩١١ ، فابقيناها بحلتها المذكورة من غير أن نبدل منها شيئاً ، فهي مزدوجة الفائدة من جهة وصف المدينتين المذكورتين قبل عشرين سنة ، ومن جهة افهام بعض الكتاب ان بيدنا مقالات قديمة العهد منذ ان أسست هذه المجلة ، فاذا تأخر نشرها فلا يحمل ذلك على سوء نية بل على تراكم المواد لا غير .